قراءة في المنهج البلاغي للصابوني من خلال صفوة التفاسير

الأستاذ: علي زواري أحمد
جامعة الشهيد حمّة لخضر الوادي

الملخص: يتعلق مقالنا هذا بنوع من القراءة في البلاغة القرآنية من خلال كتب التفسير ، وقد جعلنا صفوة التفسير للصابوني عينة لذلك قصد الكشف عن منهجه الذي سلكه في التعرض للفنون البلاغية أثناء القيام بمهمة تفسير القرآن الكريم ، وجمع أهم ما جاء فيه من أمهات كتب التراث التي تعرضت للقرآن الكريم بالبيان والتفسير ، ومن تلك البيانات اللفتات البلاغية التي لفتت نظر الصابوني ليجعل لها حيزا ثابتا في تفسير كل مقاطع الآيات من أوله لآخره ، ما يجعلنا نأخذ صورة عن هذا الأمر تجعلنا نتقدم بخطوات جديدة في عرض البلاغة العربية تتناسب والعصر الحديث.

Abstract : This article is concerned with one type of reading in Coranic Rhetoric through Tafsir books (The intrepretation of Coran) . We used the book ' Safwat EttaTafasir of Sabouni as a sample , in order to reveal his approach in dealing with rhetoric arts during the task of interpreting the Holy Coran, and to count the important reference books made therein , those which spoke about the rhetoric and interpretation of the Holy Coran. One of these rhetoric was the eloquence gestures which attracted Sabouni to specify for it a fixed space in interpreting every part of the Coranic verses top to bottom . This gives us a new picture about this topic where we can move forward with new steps in showing Arabic rhetoric to fit the new time .

المقدمة

البلاغة من العلوم التي نشأت وترعرعت في ظلال الدراسات القرآنية لبيان وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، وأول شيء ، وأهم شيء يسعى له المفسر قبل تفسيره هو البحث عن دقائق المعاني ، لأن وراء كل كلمة أو آية في القرآن الكريم معنى مستفاد ، هو الركيزة في بناء الفهم المراد من كلام الله تعالى ، وما ينتج عنه من إعجاز ودلائل وأحكام وغيرها ، لذا كانت فنون البلاغة ركيزة من ركائز علم التفسير لاهتمامها بالمعنى ، الذي هو المراد تبليغه وتوصيله للمخاطب ، ومن هنا نرى بأن المفسرين منذ بداية التدوين في علم

التفسير وهم يركزون وبعناية فائقة على الجانب البلاغي، لأنهم يدركون مدى الصلة الكبيرة بين علم التفسير وعلوم البلاغة ، مع العلم أن منهجية العرض في تلك التفاسير تماشت مع تفسير الآيات ، فكانت البلاغة مدرجة ضمن التفسير ومختلطة معه، وهي الطريقة القديمة المعهودة عند المفسرين ، ولكن بعض المتأخرين صار على النهج الموضوعي في التفسير ، فأفرد البلاغة بعنصر مستقل أثناء تفسير الآيات المتعلقة بالموضوع الواحد ، ومن هؤلاء الصابوني في تفسيره "صفوة التفاسير" الذي اخترناه ليكون محلا لمقالتنا هذه حتى نبين منهجه الذي سلكه واختاره في تناوله للجانب البلاغي من تفسيره "الصفوة" ، وهذا هو الإشكال الذي نريد الإجابة عنه من خلال التساؤل التالي : ماهو المنهج الذي تبناه الصابوني في كتابه صفوة التفاسير وهو يعرض الفنون البلاغية ؟ ويمكن أن نفرع عن هذا بعض الأسئلة المتعلقة ببعض جوانبه والتي منها ، من هو الصابوني؟ وما القيمة العلمية للكتاب حتى يكون محلا لهذه القراءة؟ وماهي أهم المعالم التي مثلت منهجه في الكتاب؟ وماهي أهم المصادر التي اعتمد عليها في أخذ الفنون البلاغية؟

ولنبدأ أولا بإعطاء نبذة عن صاحب الكتاب وعن القيمة العلمية للكتاب .

– نبذة عن الشيخ محمد الصابوني[1]:محمد علي الصابوني من مواليد 1350ه ، 1930م بمدينة حلب بسورية ، حفظ القرآن الكريم منذ الصغر، وكان والده من كبار علماء حلب ، فتلقى على يديه علوم الدين ، وعلوم العربية والفرائض، ثم درس بالثانوية الشرعية فتلقى فيها العلوم الحديثة والعلوم الدينية معا .

وبعد تخرجه منها بدرجة امتياز أوفدته وزارة الأوقاف السورية للدراسة على نفقتها في الجامعة الأزهرية بمصر، وتخرج منها سنة 1952م بدرجة امتياز ، والتحق بعدها بالدراسات العليا بالجامع الأزهر فحصل على الشهادة العالمية، وتخصص في القضاء الشرعي عام 1954م ، ومنها رجع إلى سوريا وقد عيّن أستاذاً لمادة الثقافة الإسلامية في ثانويات حلب ودور المعلمين ، وبقي في التدريس لعدة سنوات . وفي سنة 1960م رجع لاستكمال دراسته بالجامعة الأزهرية للدراسات العليا" قسم الدكتوراة "ولكنه لم يتمكن من الحصول عليها للظروف السياسية وسوء العلاقات بين مصر وسورية .

وفي عام 1382ه طلبت المملكة العربية السعودية من وزارة المعارف السورية إعارة بعض الأساتذة للتدريس بالمملكة ، فكان أحد المرشحين

للتدريس بكليتي الشريعة والتربية بمكة المكرمة وهما نواة جامعة أم القرى . وأمضى في التدريس خمسة وعشرين عامًا . ثم رأت إدارة الجامعة الاستفادة من خبراته في مركز إحياء التراث الإسلامي والبحث فأسندت إليه تحقيق بعض كتب التراث ، وفي عام 1409ه طلبت رابطة العالم الإسلامي نقل خدماته إليها بعد أن أمضى في خدمة الجامعة 28 سنة ؛ فوافقت الجامعة على ذلك و انتقل الشيخ للعمل في رابطة العالم الإسلامي كمستشار في هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، وبقي فيها عدة سنوات قبل أن يتفرغ للتأليف والبحث العلمي.

من أبرز شيوخه الشيخ محمد نجيب سراج (عالم الشهباء) ، والشيخ أحمد الشماع والشيخ محمد سعيد الإدلبي، والشيخ راغب الطباخ ، والشيخ محمد نجيب خياطة (شيخ القراء) ، وغيرهم من العلماء والشيوخ.

وللصابوني مؤلفات كثيرة وعديدة في مختلف العلوم الشرعية والعربية، تجاوزت ثلاثا وثلاثين مؤلفا ، بلغت شتى أنحاء العالم الإسلامي، وتُرجِم العديد منها إلى لغات مختلفة، مثل : الفارسية والتركية والفرنسية والإنجليزية والملاوية والهوساوية وغيرها . وقد ألّف بعضها أثناء تدريسه في الجامعة، والبعض الآخر بعد انتهائه من التدريس، وتفرغه للتأليف. نذكر من هذه المؤلفات ما يتعلق بالتفسير والبلاغة دون غيره : روائع البيان في تفسير آيات الأحكام . صفوة التفاسير. إيجاز البيان في مقاصد سور القرآن. مختصر تفسير الطبري. مختصر ابن كثير. تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للبروسوي. الإبداع البياني في القرآن الكريم. التفسير الواضح الميسر . كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات صفوة التفاسير . درة التفاسير على هامش المصحف. تحقيق كتاب معاني القرآن للنحاس. المقتطف من عيون التفاسير للمنصوري.

- **القيمة العلمية لصفوة التفاسير :**كتاب الصفوة من الكتب التي كتب الله لها الذيوع والانتشار ، وقد طبع العديد من المرات وفي بلدان مختلفة ، وذلك لما حظي به من الرضى ، وقد تلقته الأمة بالقبول ، ما جعل جماهير الناس يقبلون عليه ، ويقيم خواصهم من أهل العلم والبحث حوله الدراسات المختلفة ، أو يعتمدون عليه في دراساتهم ، وخاصة طلاب الشريعة والمتخصصون في الدراسات القرآنية عموما ، والمتعرضين للدراسات اللغوية والبلاغية في القرآن الكريم ،ومن ذلك على سبيل المثال:

رسالة معاني الشفاعة وما تصرف منها في القرآن الكريم عند الصابوني في كتاب صفوة التفاسير -دراسة دلالية- من إعداد: أغوس محمد شاطري ، وهو بحث مقدم إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا ، للحصول الدرجة الجامعية الأولى (s.s)، سنة: 1433ه- 2011م.

وأيضا رسالة الصابوني ومنهجه في التفسير من خلال كتابه صفوة التفاسير ، من إعداد : عصام أحمد عرسان شحادة ، وهو بحث مقدم لاستكمال متطلبات شهادة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية ، نابلس سنة : 2013م.

كما تعرض له بالدراسة عبد القادر محمد صالح في كتابه "التفسير والمفسرون في العصر الحديث" دار المعرفة للطباعة والنشر ، الطبعة : الأولى سنة 1424 هـ - 2003م.

وأيضا خصّه السيد محمد علي أيازي بالدراسة ضمن المفسرين الذين تعرض إليهم في كتابه "المفسرون حياتهم ومنهجهم" الذي طبعته مؤسسة الطباعة والنشر ووزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي بطهران بمناسبة إقامة المعرض الثاني للقرآن الكريم

فالكتاب لقي هذا القبول والإقبال من العامة والخاصة ؛ لما تميز به من اليسر والبساطة والتماشي مع روح العصر ولغته ، كما أنه تحلى بالإيجاز والاختصار ، ولم يهمل المأثور ولم يتخل عن المعقول ، فقد زاوج بينهما ، كما جاء في تعريفه في أول صفحة من واجهته : «إنه شامل ، جامع بين المأثور والمعقول ، مستمد من أوثق التفاسير المعروفة كالطبري والكشاف ، وابن كثير والبحر المحيط ، وروح المعاني ، في أسلوب ميسر سهل التناول ، مع العناية بالوجوه البيانية واللغوية».

وقال مؤلفه في المقدمة : «وقد أسميت كتابي " صفوة التفاسير " ، وذلك لأنه جامع لعيون ما في التفاسير الكبيرة المفصلة ، مع الاختصار والترتيب ، والوضوح والبيان ، وكلي أمل أن يكون اسمه مطابقا لمسماه ، وأن تستفيد منه الأمة الإسلامية ، بما يوضح لها السبيل الأقوم ، والصراط المستقيم»[2].

وقد جاءت كلمات منشورة مع طبعات الكتاب المختلفة لبعض العلماء تبين قيمة الكتاب من هؤلاء ، الدكتور عبد الله عمر نصيف . والشيخ أبى الحسن علي الحسني الندوي . والشيخ عبد الله بن حميد . والدكتور عبد

الحليم محمود. والدكتور راشد بن راجح . والشيخ عبد الله خياط . والشيخ محمد الغزالي .

وبعد هذه النبذة عن الكتاب وصاحبه ندخل في بيان مفهوم المنهج ليتضح لنا ماذا نريد بالمنهج البلاغي .

- **مفهوم المنهج** :المنهج والمنهاج: من مادة (نهج) ، يقول ابن فارس : «النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول النهج، الطريق. ونهج لي الأمر: أوضحه. وهو مستقيم المنهاج. والمنهج: الطريق أيضا»[3] . (ج) مَناهِجُ[4]، ومَناهيجُ[5]، وهي الطريق الواضح[6] ، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[7] أي : «طريقا واضحا في الدين يمشون عليه»[8]، أو بمعنى: «الطريق المنهوج أي المسلوك»[9] ، وهكذا إذا تصفحنا المعاجم والقواميس اللغوية للبحث عن مدلول المنهج فإننا نجد شبكة من الدلالات اللغوية التي تحيل على الخطة والطريقة والهدف والسير الواضح والصراط المستقيم ، جاء في المعجم الفلسفي: «وجميع الكتب العربية التي سميت بهذا الاسم تشير الى أن معنى المنهج او المنهاج عند مؤلفيها هو الطريق الواضح، والسلوك البيّن، والسبيل المستقيم»[10]. وعليه فإن المراد بالمنهج البلاغي للصابوني هو طريقته التي سلكها في تناوله للمباحث والفنون البلاغية من خلال كتابه الصفوة ، وهذا الذي سنوضحه فيما يلي.

- **منهجه في عرض الفنون البلاغية** :لقد جعل الصابوني الجانب البلاغي من العناصر التي اشتمل عليها منهجه في تفسيره الآيات ، حيث خصص له حيزا في كل مقطع يقوم بتفسيره من أول الكتاب إلى آخره ، وبهذا يكون قد أفرده بالذكر بخلاف اغلب المفسرين فإنك تجد الفنون البلاغية محشورة في طيات التفسير مع الأقوال واللغويات واللطائف وغيرها ، وبهذا الصنيع يكون قد خلّص البلاغة عن غيرها لتكون واضحة معلومة ومنفردة ، مع كونها ضمن التفسير .

ومن خلال الاستقراء في الكتاب نستطيع القول بأنه تحدث عن أغلب فنون البلاغة في علومها الثلاث - إن لم نقل كلها - ولم يبق منها إلا الندر اليسير ، كما أنه لم يغفل الأغراض البلاغية فقد أولاها كبير عناية ضمن الجانب البلاغي، وهذا ما يزيد في توضيح مبلغ اهتمامه بالجانب البلاغي للقرآن الكريم ، والآن نقف على أهم المعالم التي قام عليها منهجه في عرض الفنون البلاغية ، والمتمثلة في :

1) . يعرض البلاغة في نهاية الكلام عن كل مقطع من الآيات التي تتحدث

في الغالب عن موضوع واحد ، ثم بعدها يذكر اللطائف وينتقل لغيرها ، وهكذا مع كل مقطع يتعرض لتفسيره ، وقد أشار لهذا في المقدمة ، فقال :

«وقد سلكت في طريقي لتفسير الكتاب العزيز الأسلوب الآتي : أولا : بين يدي السورة ، وهو بيان إجمالي للسورة الكريمة وتوضيح مقاصدها الأساسية. ثانيا : المناسبة بين الآيات السابقة والآيات اللاحقة . ثالثا : اللغة مع بيان الاشتقاق اللغوي والشواهد العربية . رابعا :سبب النزول.خامسا:التفسير.سادسا:البلاغة.سابعا:الفوائد واللطائف»[11] .

وقد سار على ذلك في كل الكتاب ، إلا ما كان منه من سورة الزمر وما بعدها حتى سورة الناس ؛ فإنه لا يستخرج البلاغة خلف كل مقطع ؛ بل جعل ذلك في نهاية السورة ، أي عندما يفسر المقاطع ثم يصل للمقطع الأخير من السورة حينها يخرج بلاغة السورة كلها لا بلاغة الآيات في كل مقطع .

2) . يستخرج الفنون البلاغية متتالية حسب ترتيب الآيات التي يقوم بتفسيرها في كل مقطع ، لا على ترتيب الفنون البلاغية كما هي في مصادرها من كتب البلاغة ، كما أنه لم يفصل بين فنون علم عن علم آخر من علوم البلاغة الثلاث ؛ بل ما استخرجه من الآيات يذكره متتالي مع بعضه البعض ، وهكذا سار الأمر في كل الكتاب .

3) . التنوع في طريقة عرض الفن البلاغي ، أي أنه لم يسلك طريقة واحدة في عرضه للفنون البلاغية ؛ بل تختلف من موطن لآخر وتختلف أحيانا في نفس الآيات من المقطع ، وهذا الاختلاف أو التنوع نوجزه في النقاط التالية :

*- يذكر الفن البلاغي أولا ثم يتبعه بالمثال من الآيات التي يفسرها .

نموذج على ذلك في تفسيره للمقطع الأخير من سورة الرعد ،الآيات:(30– 43)[12]:

- التشبيه في قوله ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾ وفي ﴿وكذلك أنزلْنَاهُ﴾ ويسمى مرسلاً مجملاً.

- الإيجاز بالحذف في ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وظِلُّهَا﴾ أي وظلها دائم حذف منه الخبر بدليل السابق.

- المقابلة في ﴿تِلْكَ عقبى الذين اتقوا وَّعُقْبَى الكافرين النار﴾ وهو من المحسنات البديعية.

- جناس الاشتقاق في ﴿أَرْسَلْنَا رُسُلاً﴾ .

- الطباق في ﴿يَمْحُواْ ... . وَيُثْبِتُ﴾ .. الخ.

*- ومرة يذكر المثال من الآية ثم يستخرج الفن البلاغي ، بعكس السابق .

نموذج على ذلك في تفسيره لمقطع من سورة هود ، الآيات : (25 – 49)[13]:

- ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ شبّه الذي لا يهتدي بالحجة لخفائها عليه، بمن سلك مفازةً لا يعرف طرقها ومسالكها، واتبع دليلاً أعمى فيها على سبيل الاستعارة التمثيلية.

- ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ الاستفهام للإنكار والتقريع.
- ﴿فَأَتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ الأمر يراد به التهكم والاستهزاء.. الخ.

*- ومرة يستخرج الفن البلاغي ثم في نهايته يبين أن في المثال فن بلاغي آخر .

نماذج على ذلك من تفسيره لبعض المقاطع من سور مختلفة :

مثل : الالتفات من التكلم إلى الغيبة إلى المتكلم ﴿فَإِيَّايَ فارهبون﴾ لتربية المهابة والرهبة في القلوب مع إفادة القصر أي لا تخافوا غيري[14] . فذكر بداية فن الالتفات وفي الأخير ذكر فن القصر.

ومثل : اللف والنشر المرتب في ﴿شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضْعَفُ جُنداً﴾ حيث رجع الأول إلى ﴿خَيْرٌ مَّقَاماً﴾ والثاني إلى ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيّاً﴾ كما يوجد بين ﴿خَيْرٌ. وشَرٌّ﴾ طباق[15]. فذكر بداية فن اللف والنشر وفي الأخير ذكر فن الطباق .

ومثل : تكرير الضمير لإفادة الحصر والاختصاص ﴿وَهُم بالآخرة هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ومثله ﴿وَهُمْ فِي الآخرة هُمُ الأخسرون﴾ وفيه المقابلة اللطيفة بين الجملتين[16].وغير هذا كثير في الكتاب.

*- ومرة يعرض الفن البلاغي ومثاله ؛ دون تعريفه ، ودون التفصيل في شرحه للمثال، ويكتفي بالذكر فقط ، وهذا النوع كثير عنده .

نماذج على ذلك : -﴿عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ بينهما طباقٌ[17].

-﴿ذكرى لِلذَّاكِرِينَ﴾ بينهما جناس الاشتقاق[18].

-المقابلة في ﴿تِلْكَ عقبى الذين اتقوا وَّعُقْبَى الكافرين النار﴾[19] .

*- وفي بعض الأحيان يذكر الفن فقط دون تمثيل له لكثرته في القرآن .

نماذج على ذلك من أقواله :

مثل قوله في نهاية الفنون من المقطع الأول من سورة الحج ، الآيات : (1 – 18) ؛ السجع اللطيف بين كثير من الآيات[20].

ومثل قوله في نهاية الفنون من المقطع الأول من سورة يس ، الآيات : (1 – 32) ؛ مراعاة الفواصل وهو من خصائص القرآن لما فيه من روعة البيان، وحسن الوقع على السمع، وهو كثير[21].

ومثل قوله في تفسير المقطع (32 – 52) من سورة الشورى : توافق الفواصل وهو من المحسنات البديعية وهو كثير في القرآن العظيم[22].

*- وتارة أخرى نجده يسترسل نوعا ما في الشرح والبيان ليوضح المثال ويُعرف بالفن المستنبط منه.

نماذج على ذلك :

مثل : ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النار﴾ فيه استعارة مكنية لأن الورود في الأصل يقال للمرور على الماء للاستسقاء منه، فتشبّه النار بماءٍ يورد وحذف ذكر المشبه به ورمز له بشيء

من لوازمه وهو الورد، وشبّه فرعون في تقدمه على قومه بمنزلة من يتقدم على الواردين إلى الماء ليكسر العطش وقوله ﴿وَبِئْسَ الورد المورود﴾ تأكيد له لأن الورد إنما يورد لتسكين العطش وتبريد الأكباد وفي النار إلهابٌ للعطش وتقطيع للأكباد، نعوذ بالله من جهنم[23].

ومثل: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ هذا من أبلغ أنواع الاستعارة وألطفها فإن الأضغاث هو المختلط من الحشيش المضموم بعضه إلى بعض، فشبه اختلاط الأحلام وما فيها من المحبوب والمكروه، والخير والشر باختلاط الحشيش المجموع من أصناف كثيرة[24].

ومثل: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السمآء مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ..﴾ الآية شبّه تعالى الحق والباطل بتشبيه رائع يسمى «التشبيه التمثيلي» لأن وجه الشبه فيه منتزعٌ من متعدد، فمثّل الحق بالماء الصافي الذي يستقر في الأرض، والجوهر الصافي من المعادن الذي به ينتفع العباد، ومثّل الباطل بالزبد والرغوة التي تظهر على وجه الماء، والخبث من الجوهر الذي لا يلبث أن يتلاشى ويضمحل، والصورة التي توحي بها الآية «صورة الحق والباطل» وهما في صراع كالزبد الذي تتقاذفه الأمواج ﴿فَأَمَّا الزبد فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ الناس فَيَمْكُثُ فِي الأرض﴾ وهو تمثيل في منتهى الروعة والجمال[25].

وفي نهاية هذا العنصر نستطيع القول بأن الصابوني لم يكن في قصده هذا التنوع في طريقة عرض الفنون البلاغية، بل جاءت عفوية منه، وربما لم ينتبه إليها أصلا، وخاصة عندما نجد التنوع في الجزء الواحد من الكتاب؛ فيقدم –مثلا- تارة الفن البلاغي، وتارة أخرى يقدم المثال، أو في نفس المقطع، يستخرج الفن دون شرح وتبيين، وفي ذات الوقت يستخرج فنا آخر فيشرحه ويفصله، والذي يظهر لي من طريقته هذه أنه كان مهتما بدرجة أولى باستخراج الفنون البلاغية في نهاية كل مقطع بغض النظر عن طريقة عرضها، كما أن الطول في مدة تأليف الكتاب التي دامت خمس سنوات -كما أشار في مقدمة الكتاب- تجعل فيه نوعا من الاختلاف في العرض لطول المدة، وهو السبب ذاته الذي يجعله في بعض الأحيان يذكر الفن ولا يفصله ولا يذكر مثاله، بل يكتفي بذكره، ويشير أنه موجود بكثرة كما سبق وأن أشرنا في مراعاة الفواصل، مع العلم أنه في غالب الأحيان يذكر ذلك بأمثلته، ولا يكتفي بالإشارة لوجوده، مثل قوله: السجع ﴿سَرِيّاً، بَغِيّاً، صَبِيّاً، نَبِيّاً﴾ وهو من المحسنات البديعة[26]. وغير هذا المثال كثير.

*- كما أنه مرة يذكر الفن البلاغي ثم يبين من أي نوع من أقسام ذلك الفن ينتمي المثال الذي ذكره، وفي بعض الأحيان يذكر الفن دون التعرض لنوعه، فيقول مثلا: تشبيه ويذكر الآية، ولا يبين نوعه، ومرة يقول تشبيه ويبين نوعه بليغ أو تمثلي أو غيره من الأنواع، أو يقول استعارة ولا يزيد، ومرة يقول استعارة ويبين نوعها تصريحية أو مكنية أو غيرهما من أنواع الاستعارة، وهكذا الحال في كل

الكتاب ومع جميع الفنون التي تنقسم لأنواع عدة ، كالطباق والجناس والمجاز والإطناب والكناية وغير ذلك.

من أمثلة ذلك ، قوله :

والتشبيه بدون الأداة في قوله : ﴿قَرْضاً حَسَناً﴾ شبّه قبوله تعالى إنفاق العبد في سبيله بالقرض الحقيقي فأطلق اسم القرض عليه[27].

والتشبيه في قوله ﴿أَرْبَاباً﴾ حيث شبّه طاعتهم لرؤساء الدين في أمر التحليل بالربّ المستحق للعبادة[28].

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ حذفت أداة الشبه ووجه الشبه فهو «تشبيه بليغ» أي هم كالصم في عدم سماع الحق وكالعمي وكالبكم في عدم الانتفاع بنور القرآن[29].

﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ فيه تشبيه يسمى «تشبيهاً تمثيلياً» لأن وجه الشبه منتزع من متعدد وكذلك يوجد تشبيه تمثيلي في قوله ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾[30] .

4) ـ ومن منهجه أنه يبيّن في بعض الأحيان إلى أيّ قسم من أقسام علوم البلاغة ينتمي الفن المذكور ، وخاصة في ما ينتمي لقسم البديع ، فإنه أكثر من ذكره على غرار قسمي المعاني والبيان.

نماذج على ذلك :

- ﴿شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ بينهما طباقٌ وهو من المحسنات البديعية[31].

- المقابلة اللطيفة في ﴿نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغفور الرحيم﴾ مع الآية بعدها ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ فقد قابل بين العذاب والمغفرة وبين الرحمة الواسعة والعذاب الأليم، وهذا من المحسنات البديعية[32].

- اللف والنشر المرتّب ﴿أَمَّا السفينة﴾ ﴿وَأَمَّا الغلام﴾ ﴿وَأَمَّا الجدار﴾ فقد جاء بها مرتبة بعد ذكر ركوب السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار بطريق اللف والنشر المرتب وهو من المحسنات البديعية[33].

- المؤكدات ﴿إِنَّكَ أَنتَ الأعلى﴾ أكّد الخبر بعدة مؤكدات وهي ﴿إِنَّ﴾ المفيدة للتأكيد ، وتكرير الضمير ﴿أَنتَ﴾ وتعريف الخبر ﴿الأعلى﴾ ولفظ العلو الدال على الغلبة، وصيغة التفضيل ﴿الأعلى﴾ ولله در التنزيل ما أبلغه وأروعه، وهذا من خصائص علم المعاني[34].

- ﴿لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا ...﴾ الآية اشتمل هذا الكلام على النوع المعروف من علم البيان باللّف وأصل الكلام[35] ...

- التأكيد بإنّ واللام لأن السامع متشكك ومتردد ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الذي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ومثله قول السحرة في بدء المناظرة ﴿إِنَّا لَنَحْنُ الغالبون﴾ وهذا من خصائص علم البيان[36].

5) ـ كما أنه لم يكتف بذكر الفنون البلاغية وحدها ؛ بل تعرض لكل ما يختص بالبلاغة سواء ما يتعلق بفنونها أو أغراضها أوفائدتها .

نماذج على ذكر الأغراض والفوائد:

- التهييج والإلهاب ﴿وَلَئِنِ اتبعت أَهْوَاءَهُم﴾[37] .

- التعجيز والإهانة في الأمر ﴿قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً﴾[38] .

- إسناد الخير إلى الله والشر لغيره ﴿أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسان...وَإِذَا مَسَّهُ الشر﴾ لتعليم الأدب مع الله تعالى[39].

- الالتفات من الغيبة إلى التكلم ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القيامة﴾ اهتماماً بأمر الحشر[40].

- تعليم الأدب ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ وهناك قال ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ حيث أسند ما ظاهره شر لنفسه وأسند الخير إلى الله تعالى، وذلك لتعليم العباد الأدب مع الله جل وعلا[41].

- التشويق والحث على الإصغاء ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ موسى﴾[42] .

فهذه النماذج غيض من فيض في حديثه عن الأغراض والفوائد التي يشير إليها أثناء الكلام عن بلاغة الآيات.

6) ـ الاستشهاد - أحيانا – ببعض الشواهد لتوضيح المعنى ، أو التدليل على ما ذهب إليه ، كذكر من قال بذلك الفن البلاغي من العلماء ، أو ذكر بعض الآثار التي ذكرها المفسرون عن الصحابة وغيرهم في التفسير ، أو ذكر آية أخرى تدل على نفس المعنى ، أو أثر نبوي ، أو بعض الأبيات الشعرية لبيان المعنى المتداول ... وغير ذلك ، وسنذكر لكل واحد مما ذكرنا نماذج تبينه وتوضحه.

*– الاستشهاد بأقوال العلماء :

من هؤلاء العلماء الذين يستشهد بهم من حين لآخر أبو حيان الأندلسي ، صاحب تفسير البحر المحيط ، ومما نقله عنه في بيان صيغة المبالغة من لفظ ﴿عَلِيمٌ﴾[43] ، قوله : ﴿عَلِيمٌ﴾ من صيغ المبالغة، ومعناه الواسع العلم الذي أحاط علمه بجميع الأشياء ، قال أبو حيان: «وصف تعالى نفسه ب (عالم وعليم وعلام) وهذان للمبالغة، وقد أدخلت العرب الهاء لتأكيد المبالغة في (علامة) ولا يجوز وصفه به تعالى»[44].

ومن الذين استشهد بهم كذلك ونقل من أقوالهم كشواهد على ما استخرجه من فنون بلاغية ؛ الشريف الرضي صاحب كتاب تلخيص البيان في مجازات القرآن ، من ذلك على سبيل المثال ما نقله عنه في بيان الاستعارة من قوله تعالى : ﴿الخيط الأبيض مِنَ الخيط الأسود﴾[45] ، قال الشريف الرضي : «وهذه استعارة عجيبة والمراد بها بياض الصبح وسواد الليل والخيطان هاهنا مجاز وإنما شبههما بذلك لأن بياض الصبح يكون في أول طلوعه مشرقاً خافياً، ويكون سواد الليل منقضياً موليا، فهما جميعاً ضعيفان إلا أن هذا يزداد انتشاراً وهذا يزداد استسراراً»[46].

ومن هؤلاء –أيضا- الطيبي ، حيث نقل عنه قوله في الشطر من الآية : ﴿ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ﴾[47] ، قال الطيبي: «فيه استعارة تبعية حيث شبه سرعة إفسادهم ذات البين بالنميمة بسرعة سير الراكب ثم استعير لها الإيضاع وهو للإبل، والأصل ولأوضعوا ركائب نمائمهم»[48].

وغيرهم كثير كما سنذكر في مصادره التي أخذ عنها ، مع العلم أنه في بعض الأحيان لا ينقل كلامهم بل يكتفي بالإشارة إلى أنهم ذهبوا لذلك الفن مثل ما ذهب إليه ويستعمل في ذلك عبارة "الإفادة" أي بعدما يذكر الفن البلاغي ويبينه ويوضحه من المثال القرآني ، يقول أفاده فلان ، مثل قوله : أفاده أبو السعود ، أو أفاده في تلخيص البيان ، أو أفاده الألوسي ، أو أفاده الإمام الفخر أي فخر الدين الرازي، أو أفاده صاحب البحر المحيط ، وهكذا.

*– الاستشهاد بالآثار التي ذكرها المفسرون عن الصحابة وغيرهم :

من ذلك ما نقله عن ابن عباس في قوله ﴿فالآن بَاشِرُوهُنَّ﴾[49] ، قال ابن عباس : إن الله عَزَّ وَجَلَّ كريم حليمٌ يكني[50].

ومن ذلك أيضا ما جاء في قوله ﴿لاَمَسْتُمُ النسآءَ﴾[51] ، قال ابن عباس معناه[52]: جامعتم النساء كما كنى عن الحدث بالغائط في قوله﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّن الغآئط﴾[53] .

وكما نقل عن ابن عباس فإنه نقل –أيضا- عن ابن عمر -رضي الله عنهم أجمعين- من ذلك ما جاء في قوله ﴿ألاَ لَهُ الخلق والأمر﴾[54]... قال ابن عمر : من بقي له شيء فليطلبه . وهذا الأسلوب البليغ يسمى «إيجاز قِصَر» ومداره على جمع الألفاظ القليلة للمعاني الكثيرة[55].

وفي بعض الأحيان يقول : قال بعض المفسرين ، من غير تعيين أو تحديد.

*– الاستشهاد بالآيات القرآنية الدالة على نفس المعنى :

ومن أمثلة الاستشهاد بالآيات قوله[56]: الاستعارة اللطيفة ﴿لِّسَانُ الذي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ استعار اللسان للغة والكلام ... والعرب تستعمل اللسان بمعنى اللغة كقوله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[57].

ومن الأمثلة كذلك قوله في : التفنن في التعبير ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً﴾ لم يقل إلا خمسين سنة تفنناً لأن التكرار في الكلام الواحد مخالف للبلاغة إلا إذا كان لغرضٍ من تفخيم أو تهويل مثل ﴿القارعة مَا القارعة﴾[58] .

*– الاستشهاد بالأحاديث النبوية :

ومن أمثلة الاستشهاد بالأحاديث النبوية قوله : ﴿الراكعون الساجدون﴾ يعني المصلون فيه مجاز مرسل من إطلاق الجزء وإرادة الكل، وخص الركوع والسجود بالذكر لشرفهما (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)[59] .

ومن الأمثلة كذلك قوله في : مراعاة الفواصل وهي من خصائل القرآن ﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لاَ نرى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الأشرار أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأبصار إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْل النار﴾ فمثل هذا البيان الرائع والجرس العذب، يسري في النفس سريان الروح في الجسد ... وما ذلك إلا لروعة البيان شفي هذا القرآن، وصدق رسول الله حين قال «إن من البيان لسحراً»[60] .

*- الاستشهاد بالشعر .

ومن أمثلة الاستشهاد بالشعر ، قوله في : ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ وضع المصدر موضع اسم المفعول «كرهٌ» مكان «مكروه» للمبالغة كقول الخنساء : فإنما هي إقبال وإدبار[61] ... .

وقوله في : ﴿وَمَا الحياة الدنيآ إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ تشبيه بليغ حيث جعلت الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة كقول الخنساء : «فإنما هي إقبال وإدبار»[62] .

وفي قوله:الاستعارة اللطيفة﴿لِّسَانُ الذي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾استعار اللسان للغة والكلام كقول الشاعر:لسانُ السُّوءِ تُهديها إلينا...وخُنْت وما حسبتُك أن تخونا[63].

وكقوله في : التشبيه البليغ ﴿كَانَ أُمَّةً﴾ أي كان بمفرده كالأمة والجماعة الكثيرة لجمعه أوصاف الكمالات التي تفرقت في الخلق كما قال الشاعر : «وليس على الله بمستنكر ... أنْ يجمع العالم في واحد»[64] .

*- الاستشهاد بالأمثال والحكم :

ومن أنواع الاستشهاد أنه يتخذ من الأمثال والحكم وبعض الأقوال التي تسري كالامثال محلا للاستشهاد ، من ذلك قوله في : ﴿عَفَا الله عَنكَ﴾ خبر يقصد تقديم المسرة على المضرة ، وقد أحسن من قال : إن من لطف الله بنبيه أن بدأه بالعفو قبل العتب[65].

وكقوله في : ﴿قَدْ مَكَرَ الذين مِنْ قَبْلِهِمْ ... فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السقف مِن فَوْقِهِمْ﴾ شبهت حال أولئك الماكرين بحال قومٍ بنوا بنياناً شديد الدعائم فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فأهلكهم بطريق الاستعارة التمثيلية، ووجه الشبه أن ما عدوه سبباً لبقائهم، عاد سبباً لفنائهم كقولهم «من حفر حفرة لأخيه سقط فيها»[66] .

وكقوله في : المبالغة ﴿خُلِقَ الإنسان مِنْ عَجَلٍ﴾ جعل لفرط استعجاله كأنه مخلوق من نفس العجل كقول العرب لمن لازم اللعب : هو من لعب وكوصف بعضهم قوماً بقوله «نساؤهم لُعُب ورجالهم طرب»[67] .

فهذه جملة العناصر التي اشتمل عليها منهجه في عرض الجانب البلاغي ، وننتقل الآن إلى أهم المصادر التي اعتمد عليها في ذلك ، وقد أشار لبعضها صراحة وألمح لبعضها ، ولذا سوف نعرضها في العنصر الموالي.

- مصادره التي اعتمد عليها :الصابوني من خلال أقواله التي ذكرنا والتي لم نذكر ؛ يتبين أنه اعتمد على مراجع كثيرة في تقرير الفنون البلاغية التي ذكرها أثناء الحديث عن الجانب البلاغي ، وهذا ما يجعل قيمة الكتاب كبيرة ومستوعبة لما سبق من دراسات في هذا الموضوع . يقول في مقدمته : «وقد اسميت كتابي "صفوة التفاسير" وذلك لأنه جامع لعيون ما في التفاسير الكبيرة المفصلة ، مع الاختصار والترتيب ، والوضوح والبيان ، وكلي أمل أن يكون اسمه مطابقا لمسماه ، وأن تستفيد منه الأمة الاسلامية ، بما يوضح لها السبيل الأقوم ، والصراط المستقيم»[68].

ومن تلك المصادر التي اعتمد عليها نذكر ما يلي :

أولا – البحر المحيط لأبي حيان:فعندما نرجع لنقوله في تقرير الفنون البلاغية نجده اعتمد كثيرا على تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت:745هـ) ، وهو من أكبر التفاسير التي احتوت على اللغة والبلاغة، لذا نراه اعتمد عليه وأكثر من الإشارة إليه، فمرة يشير للكتاب مباشرة، فيقول : قال في البحر المحيط ، وتارة يشير لصاحبه، فيقول : قال أبو حيان، وهذه بعض نقوله:يقول أثناء الحديث عن الفنون البلاغية في تفسير سورة الفاتحة:قال في البحر المحيط: وفي هذه السورة الكريمة من أنواع الفصاحة والبلاغة أنواع:...وذكر له عشرة فنون فيها[69] .

ومنه أيضا ما جاء في تفسير المقطع (26 - 29) من سورة البقرة : قوله ﴿عَلِيمٌ﴾ من صيغ المبالغة، ومعناه الواسع العلم الذي أحاط علمه بجميع الأشياء، قال أبو حيان : وصف تعالى نفسه ب (عالم وعليم وعلام) وهذان للمبالغة، وقد أدخلت العرب الهاء لتأكيد المبالغة في (علامة) ولا يجوز وصفه به تعالى[70]. ونكتفي بما ذكرنا ، لأن نقوله عن أبي حيان كثيرة في الكتاب عموما ، وفي الشق البلاغي على سبيل الخصوص.

ثانيا – التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي :ومن مصادره التي اعتمد عليها كذلك ، تفسير أبي القاسم ، محمد بن جزي الكلبي الغرناطي (ت:741هـ) المسمى : التسهيل لعلوم التنزيل ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في المقطع (49 – 54) من سورة البقرة ، قوله في أول فن بلاغي استخرجه من هذا المقطع : قال ابن جزي: ﴿يَسُومُونَكُمْ سواء العذاب﴾ أي يلزمونهم به وهو استعارة من السَّوْم في البيع وفسَّرَ سوء العذاب بقوله ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ ولذلك لم يعطفه هنا[71].

ثالثا - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود :ومن التفاسير التي اعتمد عليها في البلاغة وبكثرة ؛ تفسير أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ) المسمى : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،

ما يدل على قيمة الكتاب من الجانب البلاغي فيما يتعلق بالآيات القرآنية ، وهذه بعض نقوله من هذا الكتاب الكبير،حيث يقول في المقطع (49 – 54) من سورة البقرة ، قوله في رابع فن بلاغي استخرجه من هذا المقطع : قال أبو السعود : ﴿فتوبوا إلى بَارِئِكُمْ﴾ التعرض بذكر البارئ للإشعار بأنهم بلغوا من الجهالة أقصاها ومن الغواية منتهاها، حيث تركوا عبادة العليم الحكيم، الذي خلقهم بلطيف حكمته، إلى عبادة البقر الذي هو مثلٌ في الغباوة[72]. وأمثال هذا كثير .

رابعا – الكشاف للزمخشري :ومن عمدة مصادره التي اعتمد عليها لاستجلاء الفنون البلاغية من الآيات القرآنية ، تفسير أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت:538هـ) المسمى : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، الذي تميز بالكشف عما في الآيات القرآنية من فنون وأوجه بلاغية، وقد كان هذا المُصَنَفُ مرجِعا لكبار المفسرين ، أمثال الرازي ، وابن جزي ، وابن كثير ، والقرطبي ، والشوكاني ، ومن المعاصرين اعتمد عليه الشنقيطي ، وابن عاشور ، ومن هؤلاء المعاصرين الصابوني في كتابه الصفوة الذي نحن بصدده . ونذكر الآن بعض نقوله من هذا الكتاب :

يقول في المقطع (63 – 66) من سورة البقرة ، قوله في أول فن بلاغي استخرجه من هذا المقطع: ﴿خُذُواْ مَآ ءاتيناكم بِقُوَّةٍ﴾ فيه إيجاز بالحذف أي قلنا لهم خذوا فهو كما قال الزمخشري على إرادة القول[73] .

ويقول في الفن الثالث من المقطع (213 - 218) من سورة البقرة : ﴿وَلَمَّا يَأتِكُم﴾ لمّا تدل على النفي مع توقع وقوع المنفي كما قال الزمخشري والمعنى: لمّا ينزل بكم مثل ما نزل بمن قبلكم وسينزل فإن نزل فاصبروا قال المبرد: إذا قال القائل: لم يأتني زيد فهو نفي لقولك أتاك زيد؟ وإذا قال: لما يأتني فمعناه أنه لم يأتني بعد وأنا أتوقعه وعلى هذا يكون إتيان الشدائد على المؤمنين متوقعاً منتظراً[74].

خامسا - الانتصاف لابن المنير الاسكندري:ومن الكتب التي اعتمد عليها كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لأحمد بن محمد المعروف بابن المنير الاسكندري (ت:683هـ) وهو مطبوع على هامش الكشاف في معظم طبعاته . فكما اعتمد على الكشاف اعتمد على حاشيته الانتصاف ، فيقول في المقطع (151 – 165) من سورة الأنعام ، في سادس فن بلاغي استخرجه من هذا المقطع : ﴿لاَ يَنفَعُ نَفْساً إيمَانُهَا ... ﴾ الآية اشتمل هذا الكلام على النوع المعروف من علم البيان باللّف وأصل الكلام: يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً لم تكن مؤمنةً قبلُ إيمانُها بعدُ، ولا نفساً لم تكسب في إيمانها خيراً قبلُ ما تكسبه من الخير بعد، إلا أنه لفّ الكلامين فجعلهما كلاماً واحداً بلاغة واختصاراً وإعجازاً، أفاده صاحب الانتصاف[75].

سادسا - تلخيص البيان في مجازات القرآن لشريف الرضي :يعتبر تلخيص البيان في مجازات القرآن لمحمد بن الحسين بن موسى، الشريف الرضي (ت:406ه)، من أهم مصادر البلاغية القرآنية التي اعتمد عليها الصابوني في استخراج الفنون البلاغية من الآيات القرآنية في كتابه صفوة التفاسير ، لذا أكثر من النقل عليه ، من ذلك :

ما جاء في المقطع (93 - 98) من سورة البقرة ، في الفن الأول المستخرج من المقطع ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ العجل﴾ ... قال في تلخيص البيان : «وهذه استعارة والمراد وصف قلوبهم بالمبالغة في حب العجل فكأنها تشربت حبة فما زجها ممازجة المشروب، وخالطها مخالطة الشيء الملذوذ»[76] .

ومن ذلك ما جاء في المقطع (183 - 187) من سورة البقرة ، في الفن السابع المستخرج من المقطع : ﴿الخيط الأبيض مِنَ الخيط الأسود﴾ قال الشريف الرضي: وهذه استعارة عجيبة والمراد بها بياض الصبح وسواد الليل والخيطان هاهنا مجاز وإنما شبههما بذلك لأن بياض الصبح يكون في أول طلوعه مشرقاً خافياً، ويكون سواد الليل منقضياً مولياً، فهما جميعاً ضعيفان إلا أن هذا يزداد انتشاراً وهذا يزداد استسراراً، وذهب الزمخشري إلى أنه من التشبيه البليغ[77].

سابعا - تفسير الجلالين :تفسير الجلالين من تأليف العالمين الجليلين : جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت:864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:911هـ) ، وهو تفسير مختصر ومبسط يبين الألفاظ ويشرح اللغويات ويبين بعض الوجوه في اللغة والتفسير ، وقد كان من ضمن مصادر الصابوني في تفسيره الصفوة ؛ بل ضمن المصادر المستوحاة منها الفنون البلاغية للآيات القرآنية ، ومن ذلك :

ما جاء في المقطع (183 - 187) من سورة البقرة ، في الفن الثالث المستخرج من المقطع :﴿وَعَلَى الذين يُطِيقُونَهُ﴾ في تفسير الجلالين قدّره بحذف «لا» أي لا يطيقونه، ولا ضرورة لهذا الحذف لأن معنى الآية يطيقونه بجهدٍ شديد وذلك كالشيخ الهرم والحامل والمرضع فهم يستطيعونه لكن مع المشقة الزائدة، والطاقة اسم لمن كان قادراً على الشيء مع الشدة والمشقة[78].

ثامنا - مفاتح الغيب لفخر الدين الرازي :كما أن من مصادره التي اعتمد عليها في استخراج الفنون البلاغية من الآيات القرآنية تفسير مفاتح الغيب لفخر الدين الرازي (ت:606هـ) ، وهو تفسير معروف بالجانب اللغوي والبلاغي ، ومما ذكره الصابوني ما جاء في المقطع (142 - 144) من سورة البقرة ، في الفن الأول المستخرج من المقطع

في قوله: ﴿يَنقَلِبُ على عَقِبَيْهِ﴾ استعارة تمثيلية حيث مثّل لمن يرتد عن دينه بمن ينقلب على عقبيه أفاده الإمام الفخر[79].

تاسعا - روح المعاني للألوسي : ولم يغب -كذلك- عن الصابوني تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت:1270هـ) ، فقد كان من ضمن مصادره التي اعتمد عليها في استظهار الفنون البلاغية في صفوة التفاسير ، نذكر من ذلك :

ما جاء في المقطع (75 - 93) من سورة التوبة ، في الفن السادس المستخرج من المقطع في قوله : ﴿وَلاَ عَلَى الذين إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ هو من عطف الخاص على العام اعتناءً بشأنهم أفاده الألوسي[80].

عاشرا - أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي وحواشيه : كما اعتمد على تفسير أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت:685هـ) المسمى "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" وقد لخص فيه البيضاوي من الكشاف ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان ، واعتمد الصابوني -أيضا- ما على أنوار التنزيل من حواشي وإن لم يبين أي الحواشي اعتمد عليها ، لأن تفسير البيضاوي عليه العديد من الحواشي ؛ منها حاشية أبي بكر بن الصائغ الحنبلي (ت: 714هـ) المسماة "الحسام الماضي وإيضاح غوامض القاضي" ، ومنها حاشية الشيخ محمد بن قرة منلا الخسرواني (ت: 785هـ) ، ومنها حاشية جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:911هـ) المسماة : "نواهد الأبكار وشوارد الأفكار" ، ومنها حاشية شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي المصري (ت: 1069هـ) المسماة : "عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي" ، ومنها حاشية القونوي عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي (ت:1195هـ) ، وغيرها من الحواشي على تفسير البيضاوي.

مثال على ما نقله من حواشي البيضاوي ما ذكره في المقطع (43 - 70) من سورة القصص ، قوله: التشبيه البليغ ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ أي أعطيناه التوراة كأنها أنوار لقلوب الناس، حذف أداة الشبه ووجه الشبه فأصبح بليغاً ، قال في حاشية البيضاوي: أي مشبهاً بأنوار القلوب من حيث إن القلوب لو كانت خالية عن أنوار التوراة وعلومها لكانت عمياء لا تستبصر، ولا تعرف حقاً من باطل[81].

فهذه هي أهم المصادر التي اعتمد عليها الصابوني في الصفوة لاستجلاء الفنون البلاغية من الآيات القرآنية ، ومن المتأكد أن هناك غيرها ، ولكنه لم يشر إليها ، فلم يكن هذا من غرضه ولا من منهجه في ذكر الفنون البلاغية ، كما أنه لم يكن يهمش كل شيء أخذه ، بل كان مكتف بذكر الفن وشاهده وما يبينه ويوضحه ، ولذا جاءت هذه المصادر من باب الاستشهاد بها ، أو لبيان فن ما ذكره

صاحب أحد تلك المصادر فكان كلامه كافيا ومعبرا عن المراد ، أو حين يكون في بعض الفنون نوعا من الغموض ، أو حين يريد أن يدعم ويقوي ما ذهب إليه ، وغيرها من الأمور التي تجعله يذكر المصدر الذي تطرق إليه.

الخاتمة: لقد كان اهتمام الصابوني بالبلاغة القرآنية كبيرا ، ولم تكن مجرد مادة علمية يشتمل عليها تفسيره المسمى بالصفوة ؛ بل جعلها عنصرا مهما من عناصر منهجة في تفسير الآيات من أول الكتاب إلى آخره ، ولم يتركها محشورة في طيات التفسير مع الأقوال واللغويات واللطائف وغيرها ، وقد اختارها لتكون عقب كل مقطع يقوم بتفسيره ، وان اختلفت طريقة عرضها من فن لآخر ومن مقطع لآخر ، ورغم ما في هذه الطريقة من تيسير للتعامل مع البلاغة القرآنية ، الا أنها لا تزال تحتاج إلى لمسة أخرى تجعلها تتماشى والصورة التي عليها البلاغة التعليمة عند المتأخرين ، لتكون أسهل للوصول إليها لدى المبتدأين ، فتعرض عرضا مرتبا حسب أقسام علوم البلاغة الثلاث مع توضيح لبعض الفنون أو اختيار المصطلحات المناسبة التي درجت عليها المصنفات المتأخرة التي تتلمذت عليها الأجيال المتأخرة ، وهذا جعلني أفكر في محاولة إعادة صياغة البلاغة القرآنية وفق المنهج المعاصر وإن كانت منفردة عن التفسير حتى تكون في متناول الجميع بطريقة حديثة ميسورة وأكثر دقة وتنظيما.

الهوامش

1 - انظر في هذه النبذة : عصام أحمد عرسان شحادة : الصابوني ومنهجه في التفسير من خلال كتابه صفوة التفاسير، بحث مقدم لاستكمال متطلبات شهادة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية ، نابلس سنة : 2013م ، ص : 8 وما بعدها . وعبد القادر محمد صالح : التفسير والمفسرون في العصر الحديث ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، الطبعة : الأولى ، سنة : 1424 هـ - 2003م ، ص : 183 . وأغوس محمد شاطري : معاني الشفاعة وما تصرف منها في القرآن الكريم عند الصابوني في كتاب صفوة التفاسير -دراسة دلالية- ، بحث مقدم إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا ، للحصول الدرجة الجامعية الأولى (s.s)، سنة : 1433ه – 2011م ، ص : 12 – 13 . والسيد محمد علي أيازي : المفسرون حياتهم ومنهجهم ، مؤسسة الطباعة والنشر ووزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، ص : 470 و 507.

2 - محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير، شركة الشهاب ، الجزائر، ط/5، سنة : 1411ه – 1990م ، ص : 20.

3 - أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) : مقاييس اللغة،المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، سنة : 1399هـ - 1979م.، (5/ 361).

4 - أحمد بن فارس : مقاييس اللغة، (5/ 361) . ومجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) : المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، (2/ 957). أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل : معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، (3/ 2291).

5 - أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل : معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، (3/ 2291).

6 - نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: 573هـ) : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) ، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م ، (10/ 6768) . وأبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ) : معجم الفروق اللغوية ، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، الطبعة: الأولى، 1412هـ ، (ص: 298).

7 - سورة المائدة ، الآية : 48.

8 - جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ) ، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ) : تفسير الجلالين ، دار الحديث – القاهرة ، الطبعة: الأولى، (ص: 146).

9 - عبد الرؤوف المناوي (المتوفى: 1031هـ) : التوقيف على مهمات التعاريف ، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، 1410هـ-1990م ، (ص: 317)

10 - جميل صليبا (المتوفى: 1976م) : المعجم الفلسفي(بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية) ، الشركة العالمية للكتاب - بيروت ، سنة : 1414 هـ - 1994م ، (2/ 435).

11 - محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة ، الطبعة: الأولى، سنة : 1417 هـ - 1997م ، 6/1.

12 - المرجع نفسه ، 2/ 81.

13 - المرجع نفسه ، 2/ 14.

14 - المرجع نفسه ، 124/2.

15 - المرجع نفسه ، 208/2.

16 - المرجع نفسه ، 372/2.

17 - المرجع نفسه ، 2/ 27.

18 - المرجع نفسه ، 33/2.

19 - المرجع نفسه ، 81/2.

20 - المرجع نفسه ، 260/2.

21 - المرجع نفسه ، 10/3.

22 - المرجع نفسه ، 137/3.

23 - **المرجغ نفسه** ، 28/2 .
24 - **المرجع نقسه** ، 54/2 .
25 - **المرجع نفسه** ، 78/2 .
26 - **المرجع نفسه** ، 198/2.
27 - **المرجع نفسه** ، 99/1.
28 - **المرجع نفسه** ،134/1.
29 - **المرجع نفسه** ،70/1.
30 - **المرجع نفسه** ،107/1.
31 - **المرجع نفسه** ، 32/2.
32 - **المرجع نفسه** ، 107/2.
33 - **المرجع نفسه** ، 184/2.
34 - **المرجع نفسه** ، 221/2.
35 - **المرجع نفسه** ، 401/1.
36 - **المرجع نفسه** ، 349/2.
37 - **المرجع نفسه** ، 81/2.
38 - **المرجع نفسه** ، 155/2.
39 - **المرجع نفسه** ، 160/2 .
40 - **المرجع نفسه** ، 165/2.
41 - **المرجع نفسه** ، 185/2.
42 - **المرجع نفسه** ، 214/2.
43 - **سورة البقرة ، الآية :** 29.
44 - **المرجع السابق** ، 29/1.
45 - **سورة البقرة ، الآية :** 187.
46 - **محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير**، 110/1.
47 - **سورة التوبة، الآية:** 47.
48 - **المرجع السابق**، 505/1.
49 - **سورة البقرة، الآية:**187.
50 - **محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير** ، 109/1.
51 - **سورة النساء ، الآية:** 43.
52 - **المرجع السابق** ،254/1.
53 - **سورة النساء ، الآية:** 43.
54 - **سورة الأعراف ، الآية:** 54.
55 - **محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير** ، 421/1.
56 - **المرجع نفسه** ،134/2.
57 - **سورة إبراهيم ، الآية :** 4.

58 - **المرجع السابق** ، 420/2

59 - **المرجع نفسه** ، 530/1.

60 - **المرجع نفسه** ،61/3.

61 - **المرجع نفسه** ،124/1.

62 - **المرجع نفسه** ،359/1.

63 - **المرجع نفسه** ، 134/2.

64 - **المرجع نفسه** ،137/2.

65 - **المرجع نفسه** ، 500/1.

66 - **المرجع نفسه** ، 115/2.

67 - **المرجع نفسه** ،242/2.

68 - **المرجع نفسه** ، 1/ 6.

69 - **المرجع نفسه** ، 1/ 20.

70 - **المرجع نفسه**، 39/1.

71 - **المرجع نفسه**، 1/ 50.

72 - **المرجع نفسه**، 1/ 50.

73 - **المرجع نفسه**، 1/ 57.

74 - **المرجع نفسه**، 124/1.

75 - **المرجع نفسه**، 401/1.

76 - **المرجع نفسه**، 71/1.

77 - **المرجع نفسه**، 110/1.

78 - **المرجع نفسه**، 109/1.

79 - **المرجع نفسه**، 90/1.

80 - **المرجع نفسه**، 571/1.

81 - **المرجع نفسه** ، 2/ 406.